

المضمرة في القصيدة الشعبية الجزائرية

The implicit dimension in the Algerian popular poem

*- أ.د. يوسف بن هورة

*- جامعة زيان عاشور-الجلفة

* y.benhoura@univ-djelfa.dz

تاريخ القبول: 2025/11/02

تاريخ الإرسال: 2025/09/24

الملخص:

الحديث من منطلق الترف الفكري عن الشعر الشعبي قد جر أذياله مذ أبرم الله للقصيدة الشعبية نقادا أكاديميين منصفين قوضوا تلك المفاهيم الخرقاء و القناعات الخاوية التي قضت بعدم جدوى دراسة الشعر الشعبي، فها هو الشاعر الشعبي اليوم يقف جنباً إلى جنب مع شقيقه الفصح ليُعبر كلٌ منهما بأدواته عن ما تملّيه ملكته الشعرية، وعليه فالشعر الشعبي مضى بخطى ثابتة يستعرض الذاتي والموضوعي. وفي السياق ذاته ستبحث هذه الورقة البحثية في الإشكالية التالية:

ماهي الخطابات المضمرة التي حمل همها الشاعر الشعبي الجزائري؟، وسيكون معيني في ذلك نماذج من قصائد شعبية جزائرية صرفة.

الكلمات المفتاحية: القصيدة، الشعبية، الالتزام، الثورة، فلسطين.

Abstract:

Algerian popular poetry has suffered from intellectual marginalization, often dismissed by academics as lacking intellectual depth or scholarly value. Such reductionist views, based on empty notions, have undermined serious engagement with this literary form. Yet, the contemporary popular poet stands confidently alongside his counterpart in classical Arabic poetry, each employing his own means of expression to convey the richness of poetic imagination.

Popular poetry, therefore, progresses with firm steps, articulating both personal and thematic concerns.

This paper seeks to explore the following question: What implicit discourses are embedded in Algerian popular poetry? Selected examples from Algerian popular poems to illustrate.

Keywords: Poem, Popular, Commitment, Revolution, Palestine.

مدخل:

مصطلحات كثيرة تصادفنا عندما نهم بطرق باب واسع من أدبنا ، ونقصد رأسا ماله علاقة متينة بالمجتمع هذا أو ذاك أو ما نسب إلى الشعب ، وهذا المعنى يأتي في مقابل ما يعرف في الدراسات الأكاديمية بالأدب الرسمي الذي حجر زاويته اللغة الفصحى ، و من هنا نقول الشعبي/الرسمي ، العامة/الفصحى ، فنلتقي إذا بمصطلح التراث الشعبي أو القصيدة الشعبية ، و هو ما << أنتجه الشعب بأفراده و جماعاته خلال الأجيال ، و في مختلف المجالات ، به أكد وجوده ... ، و أثبت قدرته على ممارسة العقل و الروح >>¹ عندما آليت على نفسي أن أمعن قلبي في الحديث عن المضمرات في الشعر الشعبي ، إنما كنت أنشد الرد على أولئك الذين -وبكل أسف- لاتزال تعشش ، بل وتفرخ في أذهانهم فكرة عدم جدوى الالتفات إلى هذا الجنس الشعري ، وأن القصيدة الرسمية قد أوفت واستوفت كل القضايا ، وما يعزز زعم هؤلاء الذين يرون من كوة واحدة ضيقة وصف ديباري² للشعر الشعبي (الأدب الشعبي) بأنه <<كلام عوام>>³.

لا نعيد عن السمت إذا سلّمنا بهذه المقولات ، مقولة عراقية الشعر الشعبي باعتباره جنسا أدبيا ظلّ مرافقا للجزائري ولغيره من أبناء الأقطار العربية والغربية ، والمقولة الثانية خصوصية الشعر الشعبي من حيث الهيكل (البناء) ، والتي تشمل المدونة اللفظية و البنية الإيقاعية سواء أكانت البنية الإيقاعية الداخلية أم البنية الإيقاعية الخارجية وخصوصية البيئة المنتجة لهذا الضرب من الشعر الحبلى بحمولات شتى (العادات والتقاليد والأعراف وحتى الأساطير والخرافات) ، والمقولة الثالثة هي عدم إخضاع هذا الجنس الأدبي أو ذاك لمنهج نقدي بعينه ، فنصادر به النص ، وربما الجنس كلّ ، فنلغي بالتالي مساحة واسعة من الإبداع الفني ، ونكون حينئذ قد ارتكبنا حيفا ؛ لأن المنهج النقدي الذي يصلح هناك لا يسعفك هنا باعتبار الخصوصية وحالة التفرد التي ينماز بها هذا الضرب عن ذاك ، ومن هنا ينبغي عدم تحميل النص أكثر ممّا يطبق ؛ وهذا بطبيعة الحال ليس حجرا على الناقد أو تكميما لسلطة النقد ، إنما هو رأي قد يؤخذ به وقد يردّ على صاحبه.

مذ أطلّ الشعر الشعبي عامة والشعر الشعبي الجزائري خاصة برأسه ، وأصبح فنا إبداعيا له شعراؤه التفت إليه كثير من الناس ؛ لأنهم وجدوا فيه لسان صدق وراوية ثقة

وترجمان أمين، فأودعوا فيه خلجانهم المكبوتة وأفكارهم المدفونة، تماما كالذي حصل لأنصار الشعر الفصيح من قبائل العرب حينما ينبت لهم شاعر قشيب.

1- الشاعر الشعبي والشعر الغنائي:

قبل الشاعر وملكته ، كان الإنسان المركب من تراب وفكرة ، فضرب من العبث أن نلغي مركبا مغروسا بالفطرة في النفس البشرية ، هذا المركب الذي أعنيه هو العاطفة التي تتجاذبها كتلة من الأحاسيس تتفاوت في حدة التوتر، فتطفو واحدة في زمن ما وتغور أخر ، فتتلون أبيات القصيدة بهذه العاطفة دون غيرها ، فتأتي القصيدة المدحية مع الإعجاب وتأتي القصيدة الرثائية مع الفقد كما تأتي القصيدة الغزلية مع الحب وهكذا .. فليس بالغريب إذاً أن نبصر الشاعر الشعبي الجزائري مرتميا في محراب الشعر الغنائي صابغا بعض قصائده بمختلف هذه الانفعالات العاطفية ، ولابأس أن نسوق شواهد عجت بها القصيدة الشعبية الجزائرية.

1.1- المدح في القصيدة الشعبية الجزائرية :

قبل استعراض الشواهد أود أن أشير إلى أن المدح عند الشعراء الشعبيين الجزائريين تنازعه أمران، الأول مدح المصطفى - صلى الله عليه وسلم- والثاني مدح المشايخ والأولياء، وفي هذا يقول صالح خرفي: <<.....وهو يرتبط أساسا بالنظرة الصوفية إلى حد كبير >>⁴.

وسنختار أبياتا للشاعر عمر بن الجيلالي في مدح صفوة الخلق- صلى الله عليه وسلم:-

بسم الله نبدا كلامي يا معيّن *** سهّل يا ربي القصيدة تبرّك.

نمدح في الرسول يا ذي السّامعين *** نتمنى بشفاك ديما كيما هاك.

يا محمّد يا شفيع المذنبين *** أترك ربي على الخلق اصطفاك.

خاتم الأنبياء إمام المرسلين *** مفضل على اللي قبلك ووراك.

سمّاك الإله في الآية يسيــــن *** وأقرن اسمو بالمصطفى سماك.

نور الهدى جد لحسن و الحسين *** صلى الله عليك بالجنة جزاك.⁵

فأنت تلاحظ معي أنّ القصيدة بُدئت بالبسملة ثم بجملة دعائية يتضرّع فيها الشاعر إلى البارئ، راجيا منه طلاقة اللسان ، والمستقرئ لهذه الأبيات لا يلاحظ إلا حبّا جارفا من الشاعر نحو الحبيب المصطفى -صلوات ربي وسلامه عليه- ، فالرسول خاتم الأنبياء وشفيع ومفضّل و نور و بالجملة هو المصطفى دون خلقه.

2.1- الرثاء في القصيدة الشعبية الجزائرية:

أمّا الشّاهد الذي سندرجه في غرض الرثاء فسيكون على نوعين، رثاء الأشخاص و رثاء المدن.

-رثاء الأشخاص: نظم الشاعر بن عيسى الهدار المتوفى سنة 1984 م مرثية في رجل يدعى المصطفى بن أحمد المغربي الذي وافته المنية عام 1976م ،افتتحها بذكر تاريخ الوفاة وأحوال الفاجعة :

يوم اثناعش في محرم يا معتاه *** هول قاع الناس سمعت بخباروا.

أتوفى سي المصطفى واثنين معاه *** راح بزهدا ما ايزلش تفكاروا .

أعلى لحداعش شاو الليل تفقدناه *** نلقاوه مسبول جثة في داروا

وفي حى الرزية هذه لاترى الشاعر إلا معرجا على مكانة المرثي:

القمر اللي كان عنا لاح ضياه *** راه تمسى كي شعشع بأنواروا .

عنا نور وغاب تقول لا شفناه *** طيري لخضر راح صدا من أوكاروا .

إلى أن يقول:

أوصافوا في خاطري ليس ننساه *** القلب محيطم تكاثرت قاع ضراروا.⁶

-رثاء المدن: اخترت هنا أبياتا للشاعر محمد بن مسايب في رثاء مدينة تلمسان العامة

فهو يبكيها بلغة ملؤها الحسرة والأسى إلى ما آلت إليه إذ يقول:

أراد كيف فعل ما لها اختيــــــــــــــــار *** سبق لها في الأزل هاكذا تكون.

ضاعت وخلالها الهول مدينة الجدار *** ما بقى فيها باش تعاند المدون.

هاكذا قدر من أنشأ الليل والنهار

هاكذا قدر وقضى ربنا الحكيم *** كيف أراد فعل في أحكامه وقدرته.

ثم تراه يستدعي في غصّة الدّول التي تعاقبت على تلمسان، فيقول:

غافلة ما انتهت للفلك كيف دار *** وين بني الوطاس وفاق الفنون.

والمرنين وزيان و الجــــــــــــــــدار *** عاندت بهم ما جاء طالب الفنون.

وين هي يا حسراه وين ناسها *** زينة الهمة ما مثلها بلاد.

وبين هذا وذاك يتغنى بشجاعتهما التليدة وقوّتهما في مقارعة وكسر شوكة العدو فضلا عن الاعتزاز بأناسها الكرام:

صنعها حصن بهيج مطبوع لبسها *** زينها زين أغريب وناسها أجواد.

نصرة للمومنين شديد بأسها *** حاربت وقالت أنا طالبة جهاد.

وبعد يحيلنا ابن مسايب إلى موقع المدينة الجغرافي، وبنفس البراعة الفنية والحدق التصويري يجعل تلمسان شاخصة أمامك:

عندها صور مدور ومحصن للمنع*** من حجر جبالها حروزها بالوعر.

جات ما بين الصحراء والتل مجتمعة*** فاتحين موالها بصيد البر والبحر.

جات ما بين عطار وقبة المنار*** مع الصفصيف وعين الحوت وأزرون.

الخنادق والقلعة وحنيف كيف دار*** والجناح الأخضر والعباد والعيون.

ما بقى فيها باش تعاند المدون⁷.

3.1- الغزل في القصيدة الشعبية الجزائرية: نصل الآن إلى غرض الغزل الذي

شكّلت فيه المرأة نقطة مفصلية في إبداع الشاعر الشعبي ، فهي أبو القاسم سعد الله يورد

ثلاثة أبيات لشاعر مجهول رواها رجل من الشعانية القبالة يدعى باعفو بن سليمان:

أملح الناس اللي بي*** ساكنين السد الوعر.

ظاعنين الأوطان القبلية*** ناس فاطنة زهو الخاطر.

نفضت دماغي الزيدية*** حمها على قلبي جوار⁸.

وأنشد الشاعر محفوظ بلخيرى قصيدة غزلية ، فيها من تباريح الحب ولوعة الين ما يدمي

الفؤاد ، وهاك بعضها منها:

فط القلب من الفريسة يا سعد*** ويا مهبلي جيت للمرسم عانيه.

ماطقتش لمعافرة في ذي المجهد*** خوضلي بحري ووادي فاسد بيه.

خلى هذا القلب مهلوك مشرد*** شرايينو زنجرت صدات عليه.

حسيتو زيار عني متلمد*** متعضل مولاه في الجسد مسيره.

شوف في يا من بيه راه القلب صهد*** من وحشك واه الحجر راني نحاكيه⁹.

2. الشاعر الشعبي وظاهرة الالتزام:

غير أن تلك المناسبات لم تثن الشعراء الشعبيين الجزائريين عن مواكبة أحوال وقضايا الفرد والمجتمع، وحتى عن معاشة قضايا خارج الجغرافيا المكانية، فقد امتدت قرائحهم إلى الوطن الكبير عربيا فضلا عن مخاطبة الإنسانية طرًا، فلا استغراب إذا ونحن أمام هذا العمل البانورامي، فالشاعر الشعبي الجزائري إنسان يختزل من الوعي ما يسمح له باستيعاب ما يدور حوله قطريا وعربيا وعالميا، فهو شخصية متماهية مع الابتسامة والبكاء ومع السلم والحرب ومع الخير، وبالجملة مع كل خلق يلامس الإنسانية، وإن الصواب يحالفنا عندما نذهب إلى وسم هذه المسؤولية التي أبى الشاعر الشعبي الجزائري إلا أن يمتلك ناصيتها ويستحوذ على جمعها بمصطلح "الالتزام".

1.2- الالتزام - المفهوم والأبعاد:-

الالتزام -كما نعلم- هو مفهوم تدرج بثبات وروية إلى ميدان الإبداع حتى أضحي ظاهرة عرفت في حقل الدراسات النقدية بـ"ظاهرة الالتزام". وهو مصطلح ينهض به الاختيار وليس الإكراه، بمعنى لا يستمع فيه الشاعر لقناعات عرجاء ضيقة، ولا إلى صوت واحد، بل يتهاوى فيه الأنا المكره -بكسر الراء- ليفسح الطريق واسعا إلى روح المجموع، وهذا يعكس الإيمان الراسخ الذي تشربه الشاعر من الرسالة الحقيقية للشعر، التي تؤكد في بعض مقاصدها عن تعضيد الساعد بالكلمة، فتجد صوت الشاعر في الملمات صداعا، لا يتغيا فتات الموائد ولا يسابق دنيا يصيبها.

2.2- أدوار الشاعر الشعبي الجزائري في معركة التحرير:

فأنت ترى الشاعر الشعبي الجزائري مقداما حين جثم الفرنسيون و نأوا بكل كلمهم ردحا من الزمن على الجزائر، و ألمت الرزايا بهذا الشعب حيث راح يبدد بالكلمة الصادقة الرافضة للباطل ديجورا من الليالي و يفضح المخططات الكولونيالية من طمس للهوية و مسخ للدين وسلخ لمنظومة القيم ونهب لمقدرات الوطن المادية، فأصبح الشاعر الشعبي الجزائري بمناسبة وبغير مناسبة يلهج بقصائده حائثا وموجها وناصحا ومرشدا

ومحدّراً وموقظاً بأن لا جزائر ولا وطن بدون دحض الغاصبين ، والشّواهد الشّعريّة هنا تجل عن العد ، فنوفمبر من سنة أربع و خمسين لم يكن شهراً عادياً ففضلاً على كونه رمزاً للتحرر و العزّة ، فقد ألهم الشعراء الشّعبيين واستفز دواخلهم فراحوا ينشدون القصائد تلو القصائد >>أمّا ثورة نوفمبر فقد فجّرت الطاقات الكامنة ، وشجّدت مواهب الشعراء ، ولو جمع الشّعر الشّعبي الذي قيل فيها لملاً ربّما دواوين>>¹⁰.

ولسنا ندري أيّ المصادفة أم من باب وقع الحافر على الحافر - كما يقول البلاغيون - فأياً كانت المناسبة ، فقد لحق البروفيسور العربي دحو من الغيورين على الجزائر وشعرها الشّعبي ومن المهوسين بالتراث الشّعري الشّعبي الشفوي ومن الأكاديميين المتخصصين في الأدب الشّعبي جميل الثناء والعرفان ؛ لكونه أتاح لهم هذه المدوّنات حتى أضحت غنيمة باردة.

استطاع إذا الأستاذ العربي دحو من جمع شتات عزيز من قصائد شعبية ، نظمت في ثورة التحرير المباركة في ديوان أطلق عليه " ديوان الشّعر الشّعبي عن الثورة التحريرية بالعربية و الأمازيغية (الشاوية) " ، وقد ذكر الأستاذ دحو في مقدمة الديوان : >>إنّه استطاع أن يجمع حوالي 723 قصيدة بالعربية و الأمازيغية بعدد أبيات يفوق 5156 بيت شعري ، فالقصائد العربية بلغت 661 قصيدة بعدد أبيات 4784 بيت شعري ، والباقي كان بالشاوية بمجموع 372 بيت >>¹¹.

ليس هذا فحسب ، بل ساهمت القصيدة الشّعبية الجزائرية في إمداد المؤرّخ بمادة تاريخية عزّ نظيرها ، وهذا من خلال رصد الشّاعر الشّعبي لأحداث و شخصيات وحتى لمواضع (أماكن) دفعت كلّها نحو الاقتراب من تدوين جوانب مهمة من تاريخ الجزائر .

خليق بنا أن نعزّد ما ذهبنا إليه فيما يخص ظاهرة التزام الشّاعر الشّعبي الجزائري بقضايا الوطن ، و في مقدمتها مقاومة المد الكولونيالي ، و هنا تحضرنى قصائد كثيرة إلّا أنّي سأختار منها أبياتا ، و البداية بالشّاعر المسيليّ المولد و المنشأ الميلود علي عرو و هذا من قصيدة موسومة بـ "نوفمبر و ثورة " :

نبد بسم الله

والله أكبر وصلاة على حمد حبيب القوم.

في ربعة و خمسين أول

نوفمبر و المواجهه كان

على وطن ملزوم

قاموا هل نيف و رجال

ميمر و يصبر في خوه ذا

الوقت لا يدوم

كنوا متفقين و القلب

محير و الخبيثة

قايمة حرب محتوم

بنواع التخريب في الشعب

دمر ما تركت شيوخ حتى

لي مفطوم

و تحزمت أبطال تخطط و دب

ر جبل لوراس كان في الخطة

مرسوم

قاموا بالجهاد دبوس

فخنجر أبطال الجهاد

عزلي مضيوم

هاذوا هما أبطال لي بهم

نفخر كانوا متحدين و الموقف

مفهوم.¹²

والشاهد الثاني الذي اخترته يُظهر مضميرين، الأول منهما أنّ الفرد الجزائري لا يرى نفسه إلّا ثوريا فقد سرى روح الثورة فتملّك عقله و وجدانه حتى شغله عن كلّ شاغل وأضحى الجزائري هو الثورة والثورة لا تتمثلها إلّا جزائريا، و المضمير الثاني تعرية الثورة للغازي، ويحضرني في هذا المقام ما كتبه الأستاذ دحو عن حضور الثورة >> ... حضور الثورة الجزائرية في كل ربوع الوطن لدرجة أنّه يمكن لنا رسم خارطة المعارك و الأحداث في أثناءها من خلالها، كما قدّمت لنا العدو بكل بطشه وجرائمه و وحشيته >>¹³.

والقصيدة بعنوان "بلادي" لشاعر لم يذكر اسمه :

بلادي يا بلادي *** عليك بنيت سامي.

على جالك خرجت *** خليت أم أولادي.

فرانسا خلّاتلّسي *** غير جلدي على عظامي.

باسم المولى القدير *** والنبي الشفيع الأخير.

ودم الأجداد و الأحباب *** اللي تخلط في التراب.

نهز ليلياسة و في الجبل *** نضرب بالرصاصه .

لعدو اللي هدم بلادى *** وخلاها في الميزرية تنادي.

لازم نجيبو الحريه *** يا ولاية الزهرة الأوراسية¹⁴.

وأنشد الشاعر محمد شبيرة الريفي قصيدته " أفضل جبال إفريقيا " التي أبان فيها عن قوة التماهي التي أشرنا إليها بين المواطن وقضيته الأم، وهاك بيتين:

زهديو في المال و العوايل و الأنفاس *** لعمار مسبلين ما كانش كلمة.

رغبتم في السلاح يكفي والقرطاس *** الدنيا لا كلام عنها مذمومة¹⁵.

وبيته الثاني يذكرني بيت شاعر الثورة مفدي زكرياء الذي لخص فيه فك الارتباط مع الغاشم، وذلك ألا خلاص إلا بلغة الحديد و النار:

ولعل صوت الرصاص يدوي *** فعاف البراع خرافات حبر¹⁶.

تمكّن إذا الشاعر الشعبي الجزائري أن يحمل رسالة الثورة ويجسّد تلك المرافقة الحقيقية بين الكلمة والرصاصه ، ولم يكن التزامه ليكتفي بهذا الدور الشريف ولو دندن حول ذياك الدور لكان حسبه ، ولكنه تعدّاه إلى أدوار أخرى، فالشعر الشعبي الجزائري حافظ على ثوابت الأمة >> ... دعا إلى ضرورة المحافظة على مقومات الشخصية القومية ، دينا ولغة وثقافة؛ لأنها تشكّل المناعة ضد محاولات الدوبان التي عمل الاحتلال الفرنسي بكلّ الوسائل لفرضها على الشعب الجزائري>>¹⁷.

والشاعر الشعبي الجزائري لبس عباءة المؤرّخ فلا تراه إلا مسجّلا لهذا الحدث أوذاك، ذاكرًا أسماء الشخصيات التي تفاعلت وحتى أنّه قيد أسماء المواضع والأماكن، وعن هذا الدور يقول البروفيسور عبد الحميد بورايو: >> ... وأن الشعراء كانوا بمثابة مؤرّخي تلك الحقبة بسبب غياب التأريخ الرسمي للمجتمع الجزائري نظرا لظروف الاحتلال ، وكثيرا ما كانوا مرافقين لقادة الثورات >>¹⁸.

وقد يتساءل أحدهم إذا كانت القصيدة الشعبية الجزائرية هذا هو موضوعها غداة الاحتلال ، وهذه هي أدوارها فما بال اللغة التي شكّلتها؟

الإجابة عن هذه التيمة المهمة تحتاج إلى تودة وبحث واسع لا تستغرقه هذه الصفحات ، وعلى كل فقد تكفل الأستاذ العربي دحو بإظهار جانب منها : >> الأسماء العربية والفرنسية الشائعة زمن الثورة مثل الجهاد والشبان وأوليدات (أبناء) العرب والشهداء والجنود والحزب الوطني (الوطنيون) ، ومن الأسماء الفرنسية التي راجت في الشعر الشعبي : فرنسا وديغول والقومية (الجنود الجزائريون الاحتياطيين في الجيش الفرنسي) >> ¹⁹.

3. فلسطين والقصيدة الشعبية الجزائرية:

توهم من خال أنّ القصيدة الشعبية الجزائرية لا تتجاوز قضايا الوطن و لا يطول نفسها إلا في حدود المحلي ، فهذه - والله - فرية كبرى وإي - وربّي - حكم قاصر تفنّده أصوات الكثير من الشعراء الشعبيين الجزائريين الذين أخلصوا لأمّ القضايا العربية و الإسلامية، نعم إنّها فلسطين ، نعم إنّهُ الأقصى الشريف مسرى النبي - صلى الله عليه وسلم - وانطلاقة معراجه، و أولى القبلتين و ثالث الحرمين ، إذ اعتبر الجزائريون أن تحرير الجزائر -مبتور ما لم تتحرّر فلسطين ، و أنّ فلسطين امتداد طبيعي للجزائر ،فهذه قناعة ماضية بالسنين قبل السنين ، و لا يناضل من أجل حرية الآخر إلا من تجرّع من كأس القهر و التّنكيل و ذاق مرارة الاستلاب، و لما كانت الكأس واحدة ، كانت الغاية واحدة ، ألا وهي إحدى الحسنين، إمّا نصر وإمّا شهادة ، و هذا الطريق هو الذي سلكته قرائح الشعراء الشعبيين الجزائريين حيال فلسطين.

فصورة فلسطين في مخيال الشاعر الشعبي الجزائري إنّما حصلت من إدراك الجزائري لجوهر الأخوة ؛ أخوة الدم و أخوة العقيدة و أخوة الإنسانية ، هذه الأخوات الثلاث التي فصلّ فيها الشيخ البشير الإبراهيمي ، و تشرّبها ماضيا و حاضرا الجزائري ، فغدّت بذلك فلسطين رمزا لكسر العبودية ورمزا للحق تماما كما كان الأوراس رمزا للحرية والصمود، ويحضرني في هذه المناسبة بيتان فصيحان للشاعر السّوري سليمان العيسى في تغنيّه بالأوراس الأشمّ ، الأول:

حملت أجنحة الأطفال ملء يدي *** وجئت أبحث يا أوراس عن جسدي²⁰.

أما الثاني فهو:

تحدّاهم صخورك يا (أوراس) *** أن يوقفوا زئير القضاء²¹.

ولعلّ صورة الإذلال التي راح الاستعمار الفرنسي يمارسها بهله وهيلمانه على الفرد الجزائري ، كان من ورائها - لو استطاع - إذلال الأمة العربية و الإسلامية ، وهذا على حد وصف الأستاذ التلي بن الشيخ : >> وكان الاستعمار يرمي إلى إذلال العربي المسلم ، و لو استطاع أن يذل أمة عدنان كلها لفعل <<²² ، و في السياق نفسه يستشهد البروفيسور التلي بهذه الأبيات التي نطق بها شاعر يترجم ما كابده الجزائري وقتئذ :

هذا حكم جديد جانا متعمد *** بالعسكر والقوم طوع العربان.

فزعت الناس كل واحد وين أشرد *** وعمر سوق الفساد من شر الطغيان.

الكافر من قبيل للمسلم حاسد *** وإذا طاق يذلها أمة عدنان²³.

وممّا زاد من غصّة الجزائري إشراك فرنسا العجوز (وصف أطلقه مفدي زكرياء على فرنسا في إحدى قصائده >> وتصبح الدعوة إلى المثل أمام المحاكم تأتيه عن طريق قاضي يهودي <<²⁴ ، فهذه مبررات تنضاف إلى سابقتها التي أشرنا إليها آنفا جعلت من الجزائري يتخندق مع أخيه الفلسطيني في خندق واحد، ويتمثل كلاهما بيت الشاعر الأموي مسكين الدارمي (المتوفى سنة 89هـ):

أخاك أخاك إنّ من لا أخاله *** كساع إلى الهيجا بغير سلاح²⁵.

ونصل الآن إلى استعراض بعض ما جاد به الشاعر الشعبي الجزائري أحمد بحري الذي نظم قصيدة وسمها ب: القدس، عتبة العنوان تحيلك إلى الرابطة العقيدية التي لا تنفصم عراها بين الشاعر الجزائري والقدس :

أطلبتك يا خالقي مولانا*** وارفع يا ربي علام المسلمين .

لباطل و لزور ياسر نوانا*** وانصر يا ربي دولة فلسطين .

ياك أحنأ إسلام وهم خاوتنا*** وأحنأ أولاد لحسن ولحسن.

ثم تراه يلتفت إلى أمريكا فاضحا لأعيها:

ماريكان ايسيطر ياسر عنا*** ولنصارى لليهود لمنعولين.

ويؤكد في البيت الموالي أحقية العرب المسلمين بالقدس الشريف متّخذاً من المعطى الديني (الإسراء والمعراج) حجة ودليلاً :

لقدس معروف من بكري لينا*** حقاً قدس فيه سيد المرسلين.

وبنفس القناعة القعساء يأمر الغاصب المعتدي بأن يللم أشياءه وينصرف إلى الشتات مرة أخرى، فلسطين للفلسطينيين:

يا يهودي أخطيك من ذي لمحلة*** خلي بلاد الناس وهم حرين²⁶.

خاتمة:

وبعد، فإنّ الفذلكة التي نخرج بها في ختام هذا المقال - و لا أزعّم ألبتة - أنّي أحطت إحاطة الخريّت بحديثات العنوان وتفصيله ؛ لأنّ البحث في الأدب الشعبي وقضاياها عموماً ، والنقر في القصيدة الشعبية الجزائرية وأسرارها خصوصاً يتهياً لمن يمتلك رؤية شاملة و اطلاعاً واسعاً ، فإذا كان الأمر كذلك ، كان الكشف عن نكت مفاهيمية وجمالية جديدة. وممّا توصّلت إليه من نتائج أذكر التالي:

- القصيدة الشَّعبية الجزائرية جنس أدبي له أدواته لاسيما في اختيار المفردات العامة.

-البعد الوطني والعربي للشَّاعر الشَّعبي الجزائري .

-حضور القصيدة الشَّعبية الجزائرية في المشهد النقدي، وهذا من خلال الالتزام بمفهوم الأمة الواسع.

-تقديم الشَّعر الشَّعبي الجزائري للباحثين الأكاديميين في طوري الماجستير و الدكتوراه مدونة ثرة تأخذ بأيديهم في مقامي الاحتجاج و التطبيق.

*- الهوامش والإحالات:

¹ رشيد وديجي، الأدب الشَّعبي المفهوم والأنواع، مجلة العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، إصدار 9، العدد 706، 2017م.

² جوزيف ديارمي مستشرق و باحث أنثروبولوجي فرنسي، ولد سنة 1863م و توفي سنة 1942م.

³ أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م، 349/8.

⁴ عبد اللطيف حني، المدائح النبوية في الشَّعر الشَّعبي الجزائري، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة الطارف، المجلد 5، العدد جانفي- جوان 2012م، ص67.

⁵ عبد القادر فيطس، الشَّعر الملحون الديني الجزائري 1830-1954 م دراسة تحليلية فنية، أطروحة دكتوراه العلوم، إشراف أ.د أحمد الأمين، جامعة الجزائر، 2009/2008م، ص 101.

⁶ الزهرة بن يعقوب، شعرية الفقد في الشَّعر الجزائري الملحون شعراء منطقة الجلفة أنموذجا، إشراف أ.د: أحمد فنشوبة، أطروحة دكتوراه طور ثالث، قسم اللغة العربية، جامعة الجلفة، 2023م/2024م، ص 245، 246.

⁷ محمد قاضي، الكثر المكنون في الشَّعر الملحون، مطبعة AGP، وهران. د ط، 2007م، ص 180.

⁸ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 317/8.

⁹ محفوظ بلخيري، مع الشَّاعر الحافظ محفوظ بلخيري ... قصيدة فط القلب،

¹⁰ ابو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، 349/8.

- ¹¹ خيرى الرزقي، تجليات صورة الثورة الجزائرية في مصادر الأدب الشعبي الثوري الشعر الشعبي الملحون و الشعر الحر - نموذجاً-، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 7، العدد: 2، ديسمبر 2022، ص: 328.
- ¹² محمد ياسين جاية، الثورة الجزائرية في الشعر الشعبي: قصيدة نوفمبر والثورة للشاعر الميلود علي عريوة أنموذجاً، <https://diae.net/55235>، السبت 13 سبتمبر 2025م الساعة 11:30 صباحاً.
- ¹³ العربي دحو، ديوان الشعر الشعبي عن الثورة التحريرية بالعربية و الأمازيغية (الشاوية)، جمع و توثيق، العربي دحو، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، دط، 2007م، ص9.
- ¹⁴ المصدر نفسه، ص 16.
- ¹⁵ المصدر نفسه، ص 17-18.
- ¹⁶ مفدي زكرياء، إياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1987م، ص69.
- ¹⁷ التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830 م- 1945 م، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، دط، 2007م، ص6.
- ¹⁸ عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصة للنشر، الجزائر، دط، 2007م، ص36.
- ¹⁹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 10|547.
- ²⁰ عثمان سعدي، مرثية سليمان العيسى شاعر الثورة الجزائرية، المجلس الأعلى للغة العربية، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 17 سبتمبر 2013م، ص26.
- ²¹ إيمان فاطمة الزهراء بلقاسم، سليمان العيسى الشاعر الذي آمن بالأوراس و الثورة، المجلس الأعلى للغة العربية، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 17 سبتمبر 2013م، ص55.
- ²² التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي، ص275.
- ²³ المصدر نفسه، ص275، 276.
- ²⁴ المصدر نفسه، ص271.
- ²⁵ مسكين الدارمي، ديوان مسكين الدارمي، جمع وتحقيق: عبدالله الجبوري و خليل إبراهيم العطية، مطبعة دار البصري، بغداد، ط1، 1970م، ص10.
- ²⁶ عبد القادر فيطس، الشعر الملحون الديني بمنطقة الجلفة-شعراء حاسي بجبج نماذجاً، مطبعة بن سالم، الأغواط، ط1، 2013م، ص294، 295.

*- قائمة المصادر والمراجع :

الكتب :

- 1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م.
- 2- محمد قاضي، الكنز المكنون في الشعر الملحون، مطبعة AGP، وهران، د ط، 2007م.
- 3- مسكين الدارمي، ديوان مسكين الدارمي، جمع وتحقيق: عبدالله الجبوري و خليل إبراهيم العطية، مطبعة دار البصري، بغداد، ط1، 1970م.
- 4- مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1987م.
- 5- عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، دط، 2007م.
- 6- عبد القادر فيطس، الشعر الملحون الديني بمنطقة الجلفة- شعراء حاسي بحبح نماذجا، مطبعة بن سالم، الأغواط، ط1، 2013م.
- 7- العربي دحو، ديوان الشعر الشعبي عن الثورة التحريرية بالعربية و الأمازيغية (الشاوية)، جمع و توثيق، العربي دحو، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، دط، 2007م.
- 8- التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830م -1945م، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، دط، 2007م.

المجلات:

- 1- إيمان فاطمة الزهراء بلقاسم، سليمان العيسى الشاعر الذي آمن بالأوراس و الثورة، المجلس الأعلى للغة العربية، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 17 سبتمبر 2013م.
- 2- عبد اللطيف حني، المدائح النبوية في الشعر الشعبي الجزائري، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة الطارف، المجلد 5، العدد جانفي- جوان 2012م.

- 3- عثمان سعدي، مرثية سليمان العيسى شاعر الثورة الجزائرية، المجلس الأعلى للغة العربية، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 17 سبتمبر 2013م.
 - 4- رشيد وديجي، الأدب الشعبي المفهوم والأنواع، مجلة العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، إصدار 9، العدد 706، 2017م.
 - 5- خير الرزقي، تجليات صورة الثورة الجزائرية في مصادر الأدب الشعبي الثوري الشعر الشعبي الملحون و الشعر الحر - نموذجاً-، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 7، العدد: 2، ديسمبر 2022.
- الرسائل الجامعية:

- 1- الزهرة بن يعقوب، شعرية الفقد في الشعر الجزائري الملحون شعراء منطقة الجلفة أنموذجا، إشراف أ.د: أحمد قنشوبة، أطروحة دكتوراه طور ثالث، قسم اللغة العربية، جامعة الجلفة، 2023م/2024م.
- 2- عبد القادر فيطس، الشعر الملحون الديني الجزائري 1830-1954 م دراسة تحليلية فنية، أطروحة دكتوراه العلوم، إشراف أ.د أحمد الأمين، جامعة الجزائر، 2008/2009م.

المواقع الإلكترونية:

- 1- محمد ياسين جاية، الثورة الجزائرية في الشعر الشعبي: قصيدة نوفمبر والثورة للشاعر الميلود علي عريوة أنموذجا، <https://diae.net/55235>، السبت 13 سبتمبر 2025م الساعة 11:30 صباحا.
- 2- محفوظ بلخير، مع الشاعر الحافظ محفوظ بلخير ... قصيدة فط القلب، <https://turath.djelfainfo.dz/1188.html>، الأربعاء 17 سبتمبر 2025م الساعة 10:15 صباحا.